# تجربة قاسية

مترجمة عن الانكليزية
بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

إن التغيير المستمر الذى طرأ على مركز المرأة قد سبب كثيراً من مصائبنا الاجتماعية ، ولا تزال الحالة تزداد كل يوم سوءاً

وما دامت المرأة ترى واجبها فى الحياة أن تكون أماً وزوجة وربة منزل فهي شريكة الرجل فى سروره وحزنه وغناه وفقره . ولكنها متى تركت هذا المجال فلا يمكن أن تكون إلا واحدة من اثنتين : إما خادماً للرجل وإما حاكمة له ، ومن أجل ذلك كان أتعس السيدات هن نساء الطبقة التى يدعونها بالطبقة الراقية اللواتى لا يرين أنفسهن فى حاجة إلى التفكير فى قوت يومهن واللواتى يقضين أيامهن كسالى بليدات ويعهدن بكل واجب من واجباتهن إلى أخريات ، فانهن أقل شعوراً بالسعادة من سائر النساء

ولقد كانت بطلة هذه القصة من النوع الأخير فانها نشأت وظلت طول عمرها لا تقدر مسئولية لشىء ، فهي تنتقل من يد المرضعة إلى يد المربية إلى معلم الموسيقى والرقص دون أن تشعر فى هذه الأدوار إلا بأنها مخدومة وأن على غيرها واجبات لها وليس عليها لأى إنسان أى واجب

وتزوجت من رجل متقدم فى العمر فمات وهى لما تبلغ الخامسة والعشرين ، وقد وجدت نفسها عند موته غنية ذات معجبين كثيرين بجمالها وهى حرة فى اختيار ما تريد وترك ما تشاء ، فكانت نتيجة حياتها على هذا النمط أن شعرت بالسأم وأحست بأن الحياة عبء ثقيل عليها ، فكان لذلك كل عملها أن تقتل الوقت كأنما هي لا تريد إلا التخلص من حياتها جزءاً فجزءاً

ولكنها مع هذا السأم من الحياة كانت زينة الحياة وبهجتها فى أعين كثيرين ، ومن الغلطات الشائعة أن الناس يحسبون كل جميلة العينين وسيمة الوجه تكون حتماً ذات ذكاء يتناسب مع جمالها وتكون ذات روح شعرية

ولئن كان فى السيدات من تجتمع فيهن هذه الصفات فان صاحبتنا البارونة أديل لم تكن كذلك بل روحها قاتمة مظلمة

وكانت متوسطة الطول نحيلة شديدة البياض بحيث يظهر فى جلدها الناصع لون عروقها الزرقاء وهى جميلة الوجه والأنف صغيرة الفم وردية الشفتين ذهبية الشعر ولكن عينيها كانتا أجمل شىء فيها فقد كانت نظراتها الوسنى مثل نظرات الحالم

وقد قضت سنوات فى الحداد على زوجها تتنقل بين البلدان فزارت إيطاليا وفرنسا الجنوبية وأسبانيا ، وكان أحب أماكن الاصطياف إليها جبال التيرول حتى لقد جمعت كل صورها ومناظرها فوضعتها فى غرفة استقبالها . وفى يوم من الأيام أرادت أن تتسلق إحدى قممها الشاهقة بالجليد فلبست ثوباً من الفرو وأمسكت بعصا غليظة وصعدت إلى الجبل قبيل الغروب ، فلما وصلت إلى مكان مرتفع منه كانت الشمس قد غابت . ثم وجدت أنها ضلت الطريق وأصبحت محاطة بحفائر مكدسة بالثلج بحيث لا تستطيع العودة ولا الاستمرار فى المشى

وحاولت عبثاً أن تجد لها منفذاً ، فرأت من

المستحيل أن تتقدم أو تتأخر أو تعلو أو تهبط فاستغاثت بأعلى صوتها، ولكنها لم تسمع غير صدى صوتها فأخرجت من جيب معطفها مسدساً وأطلقته ولكنها لم تسمع غير دوى الطلقات ، فخارت قواها وجلست على صخرة بعد أن أزالت ما عليها من الجليد وظلت تبكى

وبعد ربع ساعة مر عن كثب منها رجل يصفر فنادته وكلمته بلهجة لم تتكلم بها منذ سنوات وهى لهجة التوسل والضراعة وطلبت إليه أن ينقذها فمشى نحوها رافعاً قبعته محيياً باحترام . وعرض عليها مساعدته فشكرته شكر الضارع الخاضع ورأت من ثيابه ومن الأسلحة التى يحملها أنه من هواة الرياضة والصيد . ودلتها هيئته على القوة والاعجاب

قال لها : « اسمحى لى أن أحملك »

فقالت : « أخشى أن أسبب لك تعباً كثيراً »

قال : « لا داعى إلى مثل هذا القول »

ثم حمل البارونة بين يديه فشعرت وهى محمولة بشعور غريب لم تجربه من قبل . وكانت أنفاسه الحارة تدفئ خديها فتسائل نفسها أى شعور هو الذى تجده فى نفسها فى هذا الوقت، هل هو الحب ؟

فلما وصل بها إلى الفندق الذى تقيم فيه شكرته ودعته إلى زيارتها ووعدها بأن يرافقها فى فرصة أخرى إلى جبال التيرول . وسألته عن اسمه فقال إنه فردريك فون فاردورف

قالت : « أنت ذلك الرومى الشهير ؟ لقد سمعت اسمك يتردد كثيراً فى الأوساط العالية »

فأخبرها فاردورف بأنه من أسرة ألمانية تنتمى إلى أصل روسى ، وأن ضياعه فى كونترلاند ولكنه لم يزرها منذ سنوات لأنه كان فى العهد الأخير يزور بقاعاً مختلفة من الأرض

وفى اليوم التالى زارها فاردورف ودار الحديث عن زياراته لأمريكا الجنوبية وأفريقيا الشمالية وقرأ لها قصة أو قصتين من قصص إيفان ترجنيف . وكانت تصغى إلى حديثه منلذذة وتدعوه إلى تكرار زياراته فكررها . وصارت بعد ذلك تخرج معه إلى جبال التيرول وإلى غيرها من المتنزهات وتدعوه للعشاء كل ليلة . فأخذ الناس يتحدثون عن علاقاتهما وعن احتمال زواجهما قبل أن يتم التفاهم على شىء من ذلك

وفى ليلة من الليالى كانا جالسين معاً فى المنزل فقالت إديل : « إننا سنفترق سريعاً يا فاردورف »

فقال : « لماذا ؟ »

قالت : « لأننى تغيبت عن منزلى طويلا وأريد العودة ، فهل تزورنى هناك ؟ » فقال : « ما الذى تعنين ؟ هل تحبين ألا أزورك ؟ »

قالت : « ما الذى تعنيه أنت ؟ إننى أتألم كثيراً إذا ابتعدت عنك » فقال الرومى بلسان متلعثم : « هل تسمحين ؟ ... ألا يغضبك ... ؟ »

قالت : « تكلم ! ما الذى يمنعك من الكلام »

فقال : « إننى أحبك يا إديل »

فأطالت البارونة التحديق فى وجهه فقال : « لا تمنعنى عن الكلام حتى أقول كل ما أريد »

قالت : « ولكننى لم أعد أومن بالحب » فقال الرومى : « أعرف ذلك ولم أعلل نفسى قط بأنك ستجازينى على حبى بمثله ، ولكنك قلت لى مراراً إنك تعيشين بغير غرض ولا تسرين من أى بواعث السرور فعيشى معى زوجة لى وأنا الكفيل بأن ينشأ فى قلبك ميل لى بعد الزواج »

فنظرت اديل نظرة شاردة من النافذة دون أن تجيبه بأي جواب وسكت الرومى لحظة ثم قال : « قرري ياسيدتى بكلمة منك إماحياتي وإما موتى »

فأجابته وهى تبتسم : « الحياة أو الموت ؟ »

قال : « نعم إننى أعنى ما أقول فاني أفضل الموت إذا لم تحبّيني » فقالت المرأة التى لاقلب لها : « هذا مجرد تعبير »

قال : « كلاولكنه الحقيقة فاختاري لى الحياة أو الموت » فقالت : « إننى سأعطيك مهلة عام فاذا لم تستطع فى خلالها إقناعى بأنك تحبنى حقيقة وإذا لم تستطع أن تبعث فى نفسى عاطفة الحب نحوك فانى سأقضى عليك بأن تقتل نفسك »

قالت ذلك ثم بدأت تضحك ضحكاً عالياً فقال الرومى وهو عابس مقطب : « إذا حكمت بعدانقضاء العام بأنه لا أمل لى فى الحياة معك فانى أفعل كما تريدين ولكن يكون لى عندك رجاء آخر »

قالت : « ماهو ؟ » فقال : « هوأن تقتليني أنت »

قالت : « لك ذلك » فقال : « ولكن هل تستطيعين ؟ »

« ولم لا ؟ انه يستوى عندى أما أن تقتل نفسك من أجلى أوأن أقتلك بيدي » فقال الرومى : « إذن فعاهدينى على أنه بعد انقضاء العام إما أن تقتليني أو تتزوجى منى »

قالت : « أعاهدك على ذلك ولكن يجب أن تتذكر أنت أيضاً تعهدك عند انقضاء العام وألا تنتظر منى رحمة »

فقال : « لا وسط بين الحالتين فاما أن تكونى لى وأما أن أموت »

ومدّ كلاهما يده إلى الآخر فتعاهدا على ذلك

ومضى العام وهما يعيشان معاً فى منزلها بغينا وكان الليل ساجياً من ليالى الربيع الجميلة وهى جالسة على نمرقة بجانب الشرفة وهو جالس عند قدميها فقالت : « هل نسيت ؟ »

قال : « نسيت ماذا ؟ » فقالت : « هل نسيت عهدنا ؟ إن اليوم موعده » فمرت جسم الرومى رعشة باردة وقالت له همساً : « ادن منى وأخبرنى ما هورأيك اليوم فى تعهدك قبل أن تسمع حكمى »

قال : « إننى أرتعش . . . » فقالت : « إذن فاسمع الحكم : « إنك قد أقنعتنى بأنك تحبنى فليس عندى شك فى ذلك . . . »

وهنا ارتمى الرومى على قدميها ليقبلهما فقالت : « لا تتسرع فانك لم تسمع بقية الحكم »

قال : ما الذى تعنين ؟ فقالت : « إنك أقنعتنى بأنك تحبنى ولكنك لم تستطع أن تجعلنى أحبك »

قال : « ما أشد قسوتك ياأديل ! »

فقالت : « إننى أكلمك كلاماً صريحاً شريفاً »

قال الرومى : « أنا عند حكمك إذن فاقتليني »

فقالت : « هكذا سأفعل فانى ذاكرة عهدى . وروحك الآن فى يدى ولن أتركها هبة لك . إننى لاأحب ولكننى أريد أن أكون محبوبة وأن يحبنى من يحبنى فيموت تحت قدمى وأنا أنظر إليه نظرة احتقار »

قال : « هل تجدّين فيما تقولين ؟ » فقالت : « ألا تصدق ؟ هل حبك لنفسك أكبر من حبك لى ؟ »

قال : « كلا كلا : وإنى مستعد للموت »

فقامت وعادت وفى يدها زجاجة صغيرة مملوءة بسائل أسود وقالت : « اشرب هذا »

فتناولها وقال : « أشرب فى حبك ياأديل »

ثم قال : « ناوليني يدك فان قواى تخونني »

ثم أظلمت الدنيا فى عينيه . وبعد ساعتين أفاق فوجد رأسه على حجرها وهى تنظر إليه وعلى وجهها ابتسامة دالة على السعادة

قال: « ما الذى حدث ؟ » فناداته باسمه بصوت عذب فقال : « هل أنا أحلم الآن ؟ ألم أمت ؟ »

قالت : « كلا وستعيش وستكون لى زوجاً فانى أحبك كما تحبنى » فقال : « وما هو السائل الأسود الذى فى الزجاجة ؟ ألم يكن سماً ؟ »

قالت : « كلا، ولكنه مخدر » فقال : «لماذا؟»

قالت : « لكى أجربك » فوقف الروسى مسرعاً وقال : « تقولين إنك تحبيننى ولكنك مع ذلك تتركيننى أقاسى أشد الآلام بقصد اللهو والتسلية إن المرأة التى تفعل ذلك لا تستطيع أن تملك قلبي »

قالت اديل بصوت الخائف : « ألم تعد تحبنى يا فاردورف؟ ما الذي جعلك تتغير هذا التغير الفجائى ألم تعد تحبنى ؟ » فقال : « إننى لا أحبك الآن ولن أحبك فى المستقبل ، وداعاً ! »

فطوقت اديل عنقه بذراعيها وقالت : «أستحلفك بحق السماء ألا تجعلني أتعس إنسانة فى الوجود » فقال : «أنت التى أتعستنى وأتعست نفسك، وداعاً»

قال ذلك ثم تخلص منها فارتمت على قدميه ولكن ذلك لم يفد وأظهر قوة إرادته فخرج مغضباً

ولما جاءت الخادمة وجدت إديل مستلقية على الأرض جثة هامدة »

عبد اللطيف النشار


# مؤلفات

## الأستاذ محمد كامل حجاج

ص

٤٠ بلاغة الغرب جزءان ( مختارات من صفوة الأدب الفرنسى والانكليزى والألمانى والايطالى مع تراجم الشعراء والكتاب )

٢٠ خواطر الخيال وإملاء الوجدان ( متفرقات فى الأدب والنقد والفلسفة والموسيقى والحيوان وبه روايتان تمثيليتان )

١٨ نباتات الزينة العشبية ( محلى باحدى وتسعين صورة فنية )

١٥ Les Plantes Herbacées ( محلى بنفس الصور السابقة )

الكتاب الأول والثانى فى جميع المكاتب الشهيرة وكتب الزراعة تطلب من شركة البذور المصرية بميدان ابراهيم باشا

# كتابان قيمان

سيظهرا قريباً فى أواخر أغسطس

## هكذا تكلم زرادشت

الفيلسوف الألمانى فردريك نيتشه

## اعترافات فتى العصر

الشاعر الخالد ألفريد دى موسيه

وكلاهما ترجمة الأستاذ

## فليكس فارس

من أرسل ٢٠ قرشاً قبل صدور الكتابين عد مشتركا فيرسل له الكتابان إلى حيث يقيم داخل القطر أو خارجه «دون علاوة لأجرة البريد » ، ومن أرسل ٢٥ قرشا يرسل له أيضاً كتاب « رسالة المنبر إلى الشرق العربى » تأليف المترجم — العنوان : إدارة مطبعة البصير بالاسكندرية